وصامه الدهر كثير البكا دايم النوح والشجا معرض عن الدنيا منفرد في الجربان منقطع
عن الاحباب يحمل الزنبيل على راسه الطين مع البنا في كل يوم سبت وبقيه الاسبوع
مشتغل بخدمه مولاه الملك الجبار قلبه حزين وما كان تفتر لسانه من قراه القران
ولا يرقا عيناه من البكا والدموع جاريه على خديه فلما سمعت زبيده كلام ابرهيم
صرخت صرخه عظيمه ونادت واولداه واسيداه والسفاه وا ابرهيم وقالت
له سالتك بالذي قبض روحه خبرني كيف كان موته وكيف كان حاله بعد العز
صار ذليلا وبعد الانس صار مستوحشا وبعد الحشم والعبيد صار وحيدا والسفاه
ناحشاشه قلبي ثم انها لزمت يديها وجعلت تقول

واحسرتا الغريب نازح دنف تراه ماذا بنفسه صنعا
فارق احبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

ثم انها نادت والسفاه ما كان حوله احد شاهد موته ولا من يعلله ولا احد لنا يدعوه
قال ابرهيم فصرخنا جميعا ووقع كل واحد منا مغشيا عليه فلما افقنا قالت يا ابرهيم
لما علا منه الانين وعرق منه الجبين من نقط في فاه الما قلت انا قالت ومن مسح وجهه
عند سكرات الموت قلت انا قال فصرخت صرخه عظيمه زلزلت القصر ووقعت مغشيه
عليها وارتفع البكا والعويل والنحيب وكفنت ودفنت وامر الرشيد ان يجاب
ولده السبتي من البصره ودفن ببغداد وبنا عليه مشهدا فهو يزار الى اخر الزمان
والله اعلم فانظر يا اخي الى هذا المحتشم ابن الرشيد كيف اهان نفسه وهان
عليه ترك الدنيا ولذاتها وزهد في حلالها لما سمع الموعظه من الشيخ صالح المري
فتخلق انت باخلاق هذا الصبي الحدث السن الذي هان عليه ترك الدنيا مع صغر
سنه وهو في احلا ما كانت الدنيا عنده والذ ما كانت في نفسه فان لم يهون عليك
ترك الكثير من محرماتها فاجتهد في ترك القليل من معاصيها ومقذوراتها وقد
تخلقت ببعض اخلاقه وروى عن ابن عباس انه قال كان فيمن مضا ملكا شديد الحجاب
وكان قد اعطى طول العمر فاشتاق الى رويه الناس والسير في الارض فقال للحجابه

لا تدخلوا على احد واخبرهم انه متوجع وذهب متنكرا ليعرف ما الناس فيه فذهب
فنزل على رجل له بقره يحلب منها مثل ثلاثين بقره حلابات فاعجبته فقال في نفسه
اني اخذها لنفسي اذا رجعت الى مملكتي ومالي فان لبنها يكفيني من لبن ثلثين بقره
قال فاصبحت البقره وقد ذهب ثلث لبنها فقال لصاحبها اخبرني عن بقرتكم هذه
ارعيتموها في غير مرعاها قال الرجل لا ولكن ملكا حدثته نفسه بالظلم فذهبت بركتها
قال الملك فمن اين تعرف ذلك قال حق اقول لك فقد روينا في الكتب السالفه ان الملك اذا
حدثته نفسه بالظلم ذهبت البركات من الاشيا كلها قال فعاهد الملك ربه
جل جلاله لا ياخذها فرجع لبنها الى ما كان في وقته وساعته فسال صاحبها عن ذلك
فقال اني ارى ان ملكنا هم بالظلم فرفعت البركه ثم هم بالعدل فرجعت البركه
قال فاعترف الملك بما كان منه وعرف نفسه ورجع الى مملكته وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي من امتي شيا فحسنت سيرته رزق
الهيبه من قلوبهم واذا بسط يده بالمعروف رزق المحبه منهم واذا وفر عليهم
اموالهم وفر الله عليه ماله واذا انصف الضعيف من القوي قوى الله سلطانه واذا
عدل مد الله في عمره فحسن السياسه من هيبه الله فاذا هاب عبد ربه اتقاه
في السر والعلانيه وفي ظاهره وباطنه فاذا كان كذلك هاب الله منه خلقه وصنايع
المعروف تكون من حسن الخلق ومن حسن خلقه احبه الله ومن احبه الله القا محبته
في قلوب عباده وهو قوله لموسى عليه السلام والقيت عليك محبة مني فكان
لا يراه احد الا احبه حتى فرعون وهو في سعه من صدره وعن جعفر بن ابي رجا
في قوله والقيت عليك محبة مني قال المحلاه والحلاوه وانما توفير المال على الرعيه
من قله الرغبه ومن قلت رغبته وسقط عن قلبه قدر الشي والدنيا مقبله عليه خاد
واما انصاف الضعيف انما اعطاه على هذه الشريطه على ان ياخذ للضعيف من القوي
ولولا ذلك لم يحتاج الى السلطان فاذا اخذ للضعيف من القوي فقد
تمسك بما اعطي عليه ما اعطي فادم له قوه ذلك واذا اضيع سلطانه الذي اعطي

Copyright © King Saud University